

رحاب عمر بن الخطاب

العمرية في



الفصل السابع :



حتمية الشهادة

رحاب عمر بن الخطاب



العمرية في

obeykandali.com

حتمية الشهادة

ليس من نهاية تتوافق وعظمة تلك الحياة ، وجليل صاحبها سوى الشهادة فهي حتم محتوم ، ولقد استهدفت الشهادةُ عمرَ قبل أن يستهدفها ، وقد سعتُ إليه قبل أن يسعى إليها .

والشهادة طريق له بداية وله نهاية ، قد تدفع ظروف خارجة عن إرادة الإنسان إلى هذا الطريق ليسير فيه ويصل إلى نهايته ، وقد يكون على علم بتلك النهاية ، وقد جهل تلك النهاية .

وأعظم الشهداء – والشهادة درجات – من يختار السير في هذا الطريق بملاء إرادته يدفعه إلى ذلك شرف طبعه ، ونبأ خلقه ، الذي لا يقبل المساومة على قيم ومبادئ أزرية ولا يقبل مهادنة الباطل أو خذلان الحق .

والشهيدُ يفورُ فوراً عظيمًا ، ويحقق مكسبًا لا يطاوله مكسب في مجال الأخلاق الرفيعة ، وفي سجل التاريخ الإنساني ، والذي يفخروا به بنو الإنسان به والشهادة دليل وبرهان وإيمان :

- دليل على أن للإنسان الفرد قيمة سامية في هذا الكون ، فلا نطن أن هناك كائنًا آخر في الكون يقدم على ما يقدم عليه الإنسان من التضحية مختارًا بحياته عن اقتناع ورضى .
- برهان على أن البشر درجات وأنواع ، وكما ينحط الإنسان إلى أدنى الدرجات ويتجاوز في الانحطاط كل تصور وجميع الحدود ، يستطيع أن يسمو ويرتقى إلى أعلى الدرجات ، ضاربًا أسمى آيات الإيثار والتضحية

- إيمان بأن الله موجود ، وأن هناك حياة أخرى ، فلولا هذان الأمران ما رخصت الحياة فى عين الشهيد ، وما زهد فى الدنيا . والإنسان لا يصل إلى درجة عين اليقين إلا إذا كان ما يستمد منه هذا الإيمان الوثيق على درجة عليا من الحياة وعلى أعلى درجة من الوجود .

حكمة الشهادة:

الحياة الدنيا لها بريقها ولها إغراءاتها ، وهى حافلة بالشهوات والرغبات وأغلب رغباتها وشهواتها دنيئة ، وليس هذا حكما خلقيا بقدر ما هو حكم واقعى ووصفى ، لأن النبع دنىء ، فكل ما يخرج منه مكتسب منه

﴿... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١)

﴿... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ...﴾ (٢)

والنفس الإنسانية مركز في طبيعتها ما يزيد هذا البريق سطوعاً ويؤجج من سعار تلك الإغراءات ، ويشعل أوار تلك الشهوات ، لأن بها رغبات دنيئة مثل الطمع والأثرة والحقد والغيرة والاستبداد والبطش ، فهناك تشابه بين هذا الجانب من النفس الإنسانية وبين الحياة الدنيا ، وتجد النفس مبتغاهها ومرامها فيها ، لذلك ينشأ عشق النفس للحياة الدنيا ، وينتج عن العشق نوع من التوحد بين النفس والحياة ، أو تصبح الحياة الدنيا هى دين النفس وعقيدتها تستمد قيمها ومبادئها منها ، وتعلو بالدنيا ، وتعتبرها هى المبدأ وهى المنتهى ، فلا غاية من وراء تلك الدنيا إلا إرضاء رغبات الجسد ، ورى ضمناً النفس الذى لا ينتهى ، ومن كان هذا مطمحه فهو لا يعبأ أى السبل يسلك ، ولا بأى الوسائل يستعين

١- سورة آل عمران : من الآية ١٨٥ .

٢- سورة الأنعام : من الآية ٣٢ .

مضحيا بكل شىء ، فما القتل والسرقه والكذب والتزوير والخداع إلا وسائل مباحة تكتسب الشرعية فى عرفه كلما أصابت نجحاً ، وحققت الغاية والهدف !!
ويبدأ ضعاف النفوس ، ومرضى القلوب ينجذبون إلى تلك الوسائل والسبل ويتجمعون فيما بينهم ، تجمعهم وحدة الهدف والوسيلة ، وتزداد سطوة وجبروت تلك الجماعة بمرور الزمن ، ويتسع نطاقها ويمتد وجودها ، وتبدأ بتأصيل هذا الوجود، لأنها تعلم أن كل ما تبنيه على شفا جرف هار ، فتهب لتشرع لنفسها فلسفة تبريرية ، تبرر لها كل أفعالها ، وتسوغ لها كل أفكارها ، وتلك الفلسفة تعتمد فى أساسها على الخداع والتزوير والتلفيق والمغالطة وتتملق رغبات النفس ، وترضى غرائزها الوقتية ، وتعصد اتجاهاتها المادية ، ويصبح العالم الذى تعيش فيه وتدعو الآخرين فى الانضواء تحت لوائه ، كافرًا بكل شىء إلا بالمادة ولا يستجيب ولا يلبي إلا نداء اللحم والدم .

وتلك الفئة الضالة لا يقتصر خطرها على ذاتها فحسب ، وإنما هى حرب على من يعارضها أو يخالفها لأنها تريد أن تصبح العالم والكون بصيغتها ، فلا صوت إلا صوتها ، ولا رأى إلا رأيها وتمتلىء أوداجها بالغرور والكبر ، وتتسم تصرفاتها بالصلف والنزق .

ومن أجل ذلك تتراكم غيوم كثيفة من الضلال والباطل فى سماء العالم ويشيع الظلم والاستبداد والقهر ، ويتحول العالم إلى غابة لا يلمع فى جنباتها إلا الظفر والنايب ، ولا يسمع فى أجوائها إلا صرخات القتلى وأنين الضحايا ، ولا يرى فى أرضها سوى الأشلاء والدماء ، ولا يشق صمتها غير عواء الطغاة والجبابرة وينتشر بين الناس الشح والحرص والأثرة والتكالب والتباغض والخداع والمكر .. هنا لا وجود للخير أو العدل أو الحق .. إن هى إلا أسماء تلهج بها ألسنة المقهورين والمعذبين والبؤساء ، وقد تتعرض للقطع والبتر نتيجة ذلك .

هنا تتدخل السماء ، وترسل الأنبياء والرسل لإرجاع العالم إلى صوابه ورد البشر إلى رشدهم ، وتبصير الناس بالحقيقة الضائعة ، وإرشادهم إلى مكان الخير والحق في النفس الإنسانية ، ومواطن العدل والأمن في الكون ، وكشف ما ران على القلوب من طبقات الظلام والضلال والغفلة .

ولكن شياطين الباطل ، وأبالسة الضلال لن يقفوا مكتوفي الأيدي ، فعلى الفور يتجمعون ليطفئوا هذا النور ، ويكتموا أنفاس الحق ، ويحطموا هيكل العدل إنها حرب مستعرة ، ولا بد أن يكون في الجبهة المقابلة جند للحق ومحاربون لنصرة العدل ، ومدافعون عن الخير .. وهم الشهداء .

نذروا أنفسهم قربانا لتحقيق هدف سام ، وهم يعلمون أن تحقيق هذا الهدف في حاجة إلى بحار وأنهار من الدماء الطاهرة الزكية ، وما هم إلا قطرة أو قطرات فقد يتحقق هذا الهدف وهم على قيد الحياة وقد لا يتحقق في حياتهم ، حتى هذا لا يفكرون فيه ، لقد وضع السبيل أمامهم ، سبيل الله ، وهم سائرون فيه وليس لهم من مقصد سواه .

والمقصد والغاية والهدف تحدد نوعية الحياة التي يحيها الإنسان ، وكذلك تفكيره ومشاعره ، فهم بمثابة البوصلة التي تشير إلى النهج والطريق الذي يجب عليه أن يسلكه .

وقد يحدد نوعية الحياة التي يحيها الإنسان المقصد والهدف والغاية (وعمر) من هذا الصنف ... نوعية وطريقة الحياة التي اختارها وارتضاها هي التي حددت الهدف والمقصد والغاية ... هولم يكن يفكر في الشهادة ولم يكن يتوقعها وإن كان يسألها ويتمناها "عن زيد بن أسلم عن أمه عن حفصة قالت : سمعتُ عمر يقول : اللهم قتلاً في

سبيلك ، ووفاة في بلد نبيك . قلت وأنى يكون هذا ! قال يأتى الله به إذا يشاء اللهم ارزقنى شهادة في سبيلك واجعل موتى في بلد رسولك"

أمنية تمنها عمر ، دفعه إليها قوة إيمانه ، وعلو همته ، ومضاء عزيمته ، وإن كان لا يتوقعها أو تدور بخلده "عن أبي صالح قال : قال كعب لعمر : أجدك في التوراة كذا وكذا وأجدك تقتل شهيداً . فقال عمر ، وأنى لى الشهادة وأنا فى جزيرة العرب"

وإذا كان الإنسان لا يكتسب صفة الشهادة إلا بعد مقتله ، وهى مدة وجيزة تفصل بين كون الإنسان ليس شهيداً وبين كونه شهيداً إلا أن عمر منذ اللحظة الأولى لإسلامه اختار وبملاء إرادته أن يقف فى صفوف الشهداء ، ويسلك سلوكهم ويفعل أفعالهم ويفكر تفكيرهم .

أو لنقل إن عمر قد اختط لنفسه طريقاً أو سبيلاً جديداً للشهادة – وكل ما يتعلق بعمر جديد لم يسبقه أحد إليه – لم ينتظر الباطل حتى يقتحم عليه عالمه أو يترتث حتى يحدد مكاناً أو ميداناً لمحاربة الباطل ، أو يتمهل حتى يحين الوقت المناسب للمجابهة أو يتحين الفرصة كى يأخذ خصمه على حين غرة كل هذا لم يفكر فيه عمر ، أو يحسب له حساباً ، وإذا كانت الشهادة بمثابة خضم واسع متلاطم الأمواج حافل بالأنواء والعواصف فإن عمر ألقى بنفسه فى هذا الخضم بدون إعداد العدة أو حساب للتيارات أو الأنواء ، فهو لا يخشى البحر أو الخضم لأنه أيضاً بحر وخضم ، لا يخشى أن يحتويه البحر ، لأن لديه من القدرة والقوة والشجاعة والجرأة أن يحتوى البحر بكل ما يشتمل عليه من أخطار وأهوال وخطوب .

أراد أن يعلم العالم كله إسلامه ، وانتقاله من معسكر الكفر إلى معسكر الإيمان ، لأنه أدرك أن الحرب بين الاثنين أدخل فى الجهاد النفسى والعصبى منها فى جهاد السلاح والقوة ، فهذا الإعلام المدوى سيزلزل المعسكر الأول ، وكانت الأمور فى حاجة إلى هذا

الزلزال لتضع من تماسكه وصلابته ، وتقوى المعسكر الثانى وهو أشد ما يكون آنذاك حاجة إلى من يللم شتاته ويقوى بنيانه ولو على صعيد الدعاية والإعلام .

قنبلة فجرها عمر ، وهو لا يدري إلى أى مدى ستصل شظاياها وقد تردت عليه لتقتله فلتقتله فهو لا يعبأ بذلك . بالأمس كان أشد ما يكون إيذاءً للمسلمين تحدياً ومواجهة ، بل وصل الأمر به - كما يروى - أنه قصد صاحب الدعوة الجديدة ليقتله ليريح العرب من الدعوة الجديدة ومن صاحبها ، وكان من الممكن أن يقتل وهو منفرد ، هو لا يعبأ بذلك أمامه هدف وها هو يسعى لتنفيذه ، ولا عليه إن نفذه أم لم ينفذه ، فلا حائل يحول بينه وبين التنفيذ سوى الموت ... فليمت

واليوم أشد ما يكون إيماناً وتصديقاً للدعوة ، وحباً لصاحبها فليبدأ بمواجهة هذا الحشد وهذا الجبروت والطغيان منفرداً وقد يقتل ، هو لا يعبأ بذلك ، أمامه هدف ، وها هو يسعى لتنفيذه .

سأل أى أهل مكة أنقل للحديث ؟ قيل له : جميل بن معمر الجمحى فقصده وأخبره أنه قد أسلم ، وعلى ما يبدو أن الرجل كان بمثابة وكالة أنباء متنقلة ، فما هى إلا لحظات حتى عرفت جميع أندية قريش بأمر إسلام عمر ، ولم يتوار أو يخف ، (جميل) يقول : يا معشر قريش إن عمر بن الخطاب قد صبأ ، وعمر يقول من خلفه : كذب ولكنى أسلمت ويبدأ الصراع بين رجل ومجموعة من الرجال الأشداء ، يجالدهم ويجلدونه ، احتمال الشهادة هنا وارد .

ثم بعد ذلك يسأل رسول الله ﷺ سؤاله العمري ، حينما رأى المسلمين لا يجهرون بصلاتهم ويعلمونها متحدين ومجاهين "ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟"

وخرج عمر ومعه سيدنا (حمزة) مع رسول الله ﷺ ونفر من الصحابة قاصدين الكعبة على ملاً من الكفار والمشركين . احتمال الشهادة هنا وارد
وحينما تولى الخلافة ، كل يوم يأتى وتأتى معه احتمالات الشهادة ، وهو سائر فى الأسواق والطرق متفقداً الرعية وأمور حياتهم اليومية ليلاً ونهاراً بدون حراسة أو حماية وجيوشه فى الغرب والشرق تحطم وتكسر جيوش الأعداء وأسرى تلك الأمم يفدون على جزيرة العرب وإلى مكة والمدينة يملأ قلوبهم الغيظ والغضب والحقد .
ومنهجهم فى الحكم ، وشدته وحسمه وحزمه ، وعدم مراعاة منزلة لأى شخصية من الشخصيات فى الدولة إذا تعارضت مع المصلحة العامة أو الحق ... والتى أعضبت الكثيرين منه ، لأنها حالت بينهم وبين ما يريدونه ، وكان عمر يعلم مبلغ ضيق البعض من هذا النهج فى الحكم إلى الدرجة التى ظن أن قتله قد يكون صادف هوى البعض "فعندما طعن اجتمع إليه البديريون والمهاجرون والأنصار فقال لابن عباس : اخرج عليهم فسلهم عن ملاً منكم ومشورة كان هذا الذى أصابنى ؟ فخرج ابن عباس فسألهم ، فقال القوم : لا والله ولوددنا أن الله زاد فى عمرك من أعمارنا" .

وإذا كان الشهيد – الشهيد بالقوة – يبحث عن ميادين القتال ، ويسعى إليها أينما كانت ، فإن عمر كان بمثابة ميدان معركة متحرك ، حياته كلها منذ أن أسلم إلى أن قتل صراع وجهاد مع الأحياء والحياة ، حتى مع نفسه ، وربما تكون أشد المعارك ضراوة هى التى كانت مع نفسه ، كما ذكرنا فى بعض الفصول من قبل

العمرية في ← رحاب عمر بن الخطاب

"فهو مستشهد لا محالة ، ولو مات على سريريه ، فإن الإنسان قد يعيش عيشة الشهداء ولا يلزم بعد ذلك أن يموت ميتة الشهداء في كل قسمة كتبت له ، وكل حركة سعى إليها أو سعت إليه" (١)

أمران لا ثالث لهما . بل هو أمر واحد أمام عمر (الشهادة)

كثيرون يعرفون أنهم على الحق ، ولكن تلك المعرفة لا تدفعهم إلى الشهادة ولا لوم عليهم في ذلك .

كثيرون يعرفون أنهم على الحق ، ولكن تلك المعرفة لا تجعل الموت والحياة عندهم سواء ، ولا لوم عليهم في ذلك .

كثيرون يعرفون أنهم على الحق ، فيتوحدون به ويسعون سعياً إلى الشهادة وتصبح مبلغ آمالهم ، ونهاية مرامهم وهؤلاء هم الشهداء حقا .

وقد كان عمر متوحداً مع الحق ، سائراً مع الحق يوجهه كيفما يشاء ، وهل هناك أشرف وأسمى من الشهادة لتكون وجهة الحق ؟

"عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"

"عن ابن عباس عن أخيه الفضل . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : عمر بن الخطاب معي حيث أحب وأنا معه حيث يحب ، الحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان"

"عن علي بن أبي طالب ؓ ، قال : قال : رسول الله ﷺ : اتقوا غضب عمر فإن الله يغضب إذا غضب عمر"

الحق على لسانه وقلبه .

١ - عبقرية الإمام - عباس العقاد : (٢٠٥) .

الحق معه حيث كان .

الله يغضب إذا غضب عمر .

هل هناك توحيد مع الحق أكثر من ذلك ، والشاهد على ذلك رسول الله ﷺ وقد أدرك رسول الله ﷺ أن من تكون تلك سيرته وهذا نهجه ، ليس له من خاتمة يختتم بها حياته سوى الشهادة .

فعمر شديد في أمر الله "أشد أمتي في أمر الله عمر" وعمر متوحد مع الحق

وعمر لا يقبل المهادنة أو المراوغة أو المساومة أو أنصاف الحلول .

وهناك كارهون للحق ، مبغضون للشدة في أمر الله ، ناقمون على الصراحة زاهدون

في الاستقامة ، يبغونها عوجا ، يريدونها باطلا ، وإن هؤلاء كثر :

﴿...وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (١)

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (٢)

وأن هؤلاء على كثرتهم وعلى طغيانهم وفسادهم ، لن يستطيعوا أن يقضوا على الحق

لأن الحق لا يقضى عليه ، وإنما هو الذي يقضى على الباطل :

﴿...وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣)

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤)

﴿...وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥)

١- سورة المؤمنون : من الآية ٧٠ .

٢- سورة الزخرف : من الآية ٧٨ .

٣- سورة الأنفال : من الآية ٧ .

٤- سورة الأنفال : من الآية ٨ .

٥- سورة الشورى : من الآية ٢٤ .

والحق أساس من الأسس التي بنى عليها الكون ، قبل أن يكون أمنية تختلج بها الصدور ، أو غاية تطمح إليها النفوس

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ... ﴾ (١)

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴾ (٣)

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤)

إذن لا أحد يستطيع القضاء على الحق ، إلا إذا كان في استطاعته القضاء على السموات والأرض ، أو تبديلهم خلقا آخر .

وإذا كان القضاء على الحق محالا ، فليس أقل من أن يقضى على من يمثل الحق على من يجسد الحق ، على من يأمر بالحق ويقيمه ، على من لا يتنفس النفس إلا ليدافع عن الحق أينما وجده ويحارب الباطل أينما كان ، بل كان يتتبع الباطل ويبحث عنه في مظانه ليواجهه ، ويقاتله حتى إن الشيطان ليفرق من عمر .

الحق والشهادة صنوان

ولم لا نقول ان الشهادة حق والحق شهادة!؟

١- سورة الأنعام : من الآية ٧٣ .

٢- سورة العنكبوت : الآية ٤٤ .

٣- سورة الحجر : من الآية ٨٥ .

٤- سورة النحل : الآية ٣ .

والشهادة متغلغلة في حياة الناس اليومية ، قريبة من أطراف أصابعهم إن شاء وامتدوا أيديهم لينالوا منها كل حسب مقدرته "عن أبي وائل أن عمر قال : ما يمنعكم إذا رأيتم السفية يخرق أعراض الناس أن تعربوا عليه ؟
قالوا : نخاف لسانه .

قال : "ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء"

شجاعة وتوحد مع الحق .

قوة في المواجهة .

صدق في النية .

شرف ونبيل في الطبع .

الخاتمة : شهادة .

وكأنى برسول الله ﷺ وقد سيرغور شخصية عمر – أراد أن يلمح لصاحبه بتلك الخاتمة والتي أدركها بحسه النبوي الصادق خاتمة شريفة ، حياة شريفة لشخصية شريفة ، وقفت الإنسانية وتقف وستقف أمام هذا الإنسان خافضة الجبين ، خاشعة الجنان ، كيف لإنسان يرتقى كل يوم في سجل حياته في مدارج الكمال الإنساني ويتجاوز تلك الغاية ، واضعا للإنسانية غايات وأهدافا تعجز الإنسانية – في وقتها الحاضر عن الوصول إليها ، أو حتى الاقتراب منها ، ويكون آخريوم له في سجل الأحياء بداية أعظم وأحق في سجل الخالدين إلى أبد الدهر

"عن الزهري عن سالم عن أبيه . قال : رأى النبي ﷺ على عمر ثوبا أبيض فقال أجديد ثوبك هذا أم غسيل قال : بل غسيل . قال : البس جديدًا وعش حميدًا وامت شهيدًا يعطك الله قرّة عين في الدنيا والآخرة" .